مدخل نظري

علم الدلالة

علم الدلالة (Semantics): العلم الذي يتناول المعني بالشرح والتفسير ، ويهتم بمسائل الدلالة وقضاياها ، ويدخل فيه كل رمز يؤدي معني سواء أكان الرمز لغوياً أو غير لغوي (مثل الحركات ، والإشارات ، الهيئات ، الصور ، والألوان ، والأصوات غير اللغوية ، وغير ذلك من الرموز التي تؤدي دلالة في التواصل الاجتماعي)[1] .

ويعد علم الدلالة أهم فرع من فروع علم اللغة ، فاللغة موضوع علم اللغة وضعت للتعبير (أو للدلالة) عما في نفس متكلمها ، وكل الجوانب اللغوية الأخرى هدفها تبيين المعني على نسق واضح سهل الفهم ، وجميع فروع اللغة تشارك في الدلالة ولا يمكن الفصل بينها وبين علم الدلالة ، فكل فرع منها يساهم بدوره في الدلالة في إطار مجاله .

فمجال "علم الأصوات" ، دراسة الصوت اللغوي ، والصوت جزء من بنية الكلمة ، واختلاف صوت واحد في كلمتين متشابهتين يؤثر في اختلاف المعني ، فالكلمات اللاتى يقع بينهن اختلاف في صوت واحد تختلف دلالتهن ، مثل : حارّ ، ضارّ ، سارّ . واختلاف النبر في كلمة واحدة يؤثر في معناها ، وكذلك اختلاف التنغيم . وسوف يأتي بيان هذا في موضعه إن شاء الله .

ويشارك كذلك "علم الصرف" في الدلالة ، فمعني الكلمة يتأثر بصيغتها الصرفية ، مثل : قاتل ومقتول . الصيغة الأولي صيغة اسم الفاعل الذي قام به الحدث ، والصيغة الثانية اسم المفعول الذي وقع عليه الحدث ، فكل صيغة صرفية تدل على معني خاص بها ، ويتبين هذا من صيغ الأفعال ، والمشتقات ، والمصادر .

ويشارك النحو بدور كبير في الدلالة ، فكل جملة تؤدي معني أو دلالة تتأثر بالعلاقة التي تربط بين أجزاء تركيبها وترتيبها ، فاختلاف الكلمات واختلاف الترتيب يؤثران في

---

(1) ارجع إلى : الدكتور محمود عكاشة : الدلالة اللفظية ، مكتبة الأنجلو المصرية ط1/ 200م ص4 ، 5 .

دلالة الجملة ، مثل : "دخل محمد المنزل" . وقولنا: "دخل محمد القبر" . وقولنا: " دخل محمد عش الزوجية" فمعنى التركيب الأول معلوم ، ومعنى الثاني : مات ، ومعنى الثالث : تزوج . واختلاف الترتيب في مثل : " قتل محمد عليًا" . وقولنا " قتل علي محمدًا" أثر في دلالة الجملتين .

ويشارك المعجم بنصيب كبير في الدلالة ، فوضع الكلمة في التركيب يتوقف على معناها المعجمي ، فنحن نختار الألفاظ التي تناسب دلالتها السياق الذي ترد فيه ، فكل كلمة تتعلق بسياقها التركيبي ، وتدل على معنى فيه يرتبط بعلاقتها مع ما جاورها ويختلف معناها في سياق آخر مخالف له ، وقد ادعي بعض اللغويين صحة بعض التركيب نحوياً ، وهي فاسدة من ناحية المعني أو ليس لها معني ، فهي صحيحة شكلاً فقط ، ولا تعبر أصواتها عن معنى، وهذا رأي غير مقبول ؛ لأن وظيفة علم النحو الكشف عن المعني وتبينه ومعرفة مواقع الكلمات في الجمل ووظائفها في التراكيب ، والجمل التي تخلو من الدلالة غير صحيحة نحوياً ، الرأي واضح من تعريف علماء العربية علم النحو ، ورفضهم التراكيب التي تتناقض معانيها والتراكيب التي لا تعبر عن معنى ، فالتراكيب المصنوعة التي لا تحمل معني غير مقبولة ، ولا نري ما ذهب إليه بعض اللغويين إلى جواز قبول بعض الجمل التي تتفق من الناحية الشكلية مع قواعد اللغة ، ولا مضمون لها وقد ذكر الدكتور أحمد مختار عمر بعض أشكال الجمل الفاسدة فقال : ومن الممكن أن يوجد المعني المعجمي دون المعني النحوي (كما في الكلمات المفردة) وكذلك أن يوجد المعني النحوي دون المعني المعجمي (كما في الجمل التي تركب من كلمات عديمة المعني) مثل: "القرعب شرب البنغ " ، بل من الممكن ألا يوجد للجملة معني مع كون مفرداتها ذوات معان ، وذلك إذا كانت معاني الكلمات في الجملة غير مترابطة مثل : الأفكار عديمة اللون تنام غاضبة" . [1] وهذا لا يعني

---

(1) الدكتور أحمد مختار عمر : علم الدلالة ، عالم الكتب ص 10 وقد جاءت الجملة مترجمة إلى العربية في بعض الترجمات: الأحلام أو الأفكار الخضراء عديمة اللون تنام بغضب. وهي لتشو مسكى . والنص الأصلي : Colorless green ideas sleep Furiously وترجمته: إن أفكارًا خضراء لا لون لها تنام غاضبة. ولها تركيب آخر: Furiously sleep ideas green colorless وترجمتها: تنام غاضبة أفكار خضراء لا =

أنه يقبل مثل هذه الجمل التي تخرج عن نظام اللغة ، ولكن بعض اللغويين يعتدون بهذه الجمل ويقبلونها شكليًا ، وهذا الرأي وكل شبيه به متأثر بآراء الغربيين ، فبعضهم فصل الشكل عن المضمون ، ولكن علماء العربية لا يعتدون بما لا يفيد معنى وبما يناقض معناه ، فاللغة وضعت للإفادة ، ولقد تناول "ابن جني" هذه القضية في كتابه "الخصائص" ، وقضى بفساد هذه التراكيب المتناقضة أو الفاسدة أو عديمة المعني .

وأري أن التراكيب عديمة المعني ليست لغة ؛ لأن علماء العربية لم يعتدوا بالكلمات المهملة ، التي تنتج من تقليب جذر الكلمة ، فقد أهمل "الخليل بن أحمد" هذه الكلمات ولم يدخلها في معجمه " العين " ، وصنع ابن جني صنيعه ، فيما أطلق عليه الاشتقاق الأكبر، فقد أخرج الكلمات المهملة (غير المستعملة) من اللغة ، ومعاجم العربية لا تعتد بالألفاظ المهملة في الاستعمال ، وما لم يتعرفوا على معناه ظنوه مصنوعًا أو مجهولاً أو مُصَحَّفًا .

ومعني الكلمة يرتبط بالسياق الذي ترد فيه ، فمعني الكلمة يتعدد بتعدد السياق ، والكلمات التي يحصي لها المعجم أكثر من معني ، إنما هذه معانٍ سياقية ، ولهذا نجد لها سياقات لغوية مختلفة في المعجم أو شواهد مختلفة ، ولكن لكل كلمة معني واحداً في أصل الوضع عند واضعها ، ويصعب على الباحث تحديد المعني الأصلي لكل لفظ ، لكنه أحياناً يرجح أقدم معني عرف به اللفظ وبعده أصلاً له ، ثم وقع تطور دلالي في معناه في فترات تاريخية متعاقبة تولدت فيها معاني أخر للفظ في الاستخدام اليومي متأثرة بالزمن والمكان والمجتمع ، وثقافته ، ومستواه الحضاري .

وتوجد في اللغة بعض التراكيب الاصطلاحية التي تشكل وحدة دلالية خاصة داخل المجتمع الذي أنتجها ، وتعلقت بثقافته ، أو التراكيب والمفاهيم التي تتعلق بمجال علمي اصطلح عليها ، والتي عرفت بالمصطلحات العلمية ، وهذه التراكيب والمفاهيم تشكل وحدة دلالية معجمية مستقلة إلى حد ، لكننا لا نستطيع أن نزعم أن اللغة تحتوي على مفردات مستقلة استقلالاً تاماً عن مجتمعها أو الثقافة التي نشأت فيها ، فالألفاظ لها علاقة

= لون لها . Noomchomsky . syntactic structures . the Hague Nooton . Trud . Fred. Seuil . 1969.p 17.

وثيقة بظروف إنتاجها ونشأتها واستخدامها ، لكنها تتفاوت في كم هذه العلاقة وكيفها ، فهناك ألفاظ وثيقة الصلة بسياقها اللغوي وسياقها الخارجي .

وهنالك ألفاظ شائعة الدلالة منتشرة أو سيارة تتمتع بقدر كبير من الاستقلال لكثرة تداولها مثل أسماء الأعلام التي لا تتطلب سياقاً لغوياً يحدد المراد منها ، وتكتفي بمعرفة طرفي الاتصال بها ، ولكننا منوطون دائماً بمعرفة ما يحيط بكل لفظ للتعرف عليه ولتحديد دلالته .

ويطلق علم الدلالة على بيان معني الكلمة ، ويطلق كذلك على دلالة الجملة أو التعبير ، وتجاوز العلماء به الجملة إلى معني النص كله شرحًا وتفسيرًا ، ويصف العلاقات المتشابهة بين التعبير والمحتوي فيما عرف بعلم الدلالة النصي أو علم دلالة النص، لقد توسع مجال اهتمام علم الدلالة ، فشمل دراسة أصغر وحدة دلالية حاملة المعني ، ودراسة دلالة الجمل ، ودلالة النصوص .

تحليل اللغة

تحتوي اللغة على جوانب شديدة التعقيد تتطلب أكثر من منهج وأكثر من وسيلة لفك شفراتها وتحليل محتوياتها ، وكشف مقاصدها ، ولا يسنى لمنهج واحد أن يصف خصائص اللغة وصفاتها أو يفسر ظواهرها تفسيراً واضحاً يصيب كبدها ، ومن ثم قسم العلماء اللغة إلى عدة مستويات تحليلية ليتمكنوا من كشف محتوياتها وإظهار أسرارها ومعرفة مضمونها . وقد سلكوا في ذلك مناهج متعددة يهدف كل منهج منها إلى وضع تفسير دقيق لظواهر اللغة، والمقصد من هذا إماطة اللثام عن أبعاد اللغة الدلالية ومقاصدها في التواصل الاجتماعي .

وقد رأي كثير من العلماء أن اللغة ظاهرة شديدة التعقيد ، ويجب أن تتعاضد الجهود والمناهج في تحليلها ، فافترضوا أنها تتجزأ إلى أجزاء أو تقسم على مستويات يتمتع كل مستوي منها بخصائص عامة يمكن عن طريقها الوقوف على أسرار مضمون هذا المستوي في الدلالة ، وهم يعلمون يقيناً أن اللغة كيان واحد لا يمكن الفصل بين محتوياته فجميع العناصر اللغوية تتفاعل معاً ، وتتآزر في تحقيق مقاصد لغوية ، ولا يمكن استبعاد جانب

دون جانب ؛ لأن اللغة بناء شديد التماسك يشد بعضه بعضاً ، وتهاوي جانب منه يقوض أركانها .

ويرجع سبب اختلاف مناهج التحليل ومستويات التحليل إلى اتجاهات العلماء ورؤيتهم التحليلية للغة ، فالباحث يختار المنهج الذي يراه ملائماً لتحقيق أهدافه من تحليل اللغة ، وتقسيم اللغة على مستويات يخضع أساساً لموقف الباحث من اللغة والمنهج الذي يصطفيه لنفسه من بين مناهج التحليل ويؤثر في ذلك أهمية مستوي من مستويات التحليل يراه الباحث يستأهل اهتمامه لما به من عناصر غنية البحث .

وقد اشتهر من بين هذه المناهج التحليلية التقسيم الذي وضعه "ماريو باي" لمستويات التحليل اللغوي ، فقد رأي أن دراسة اللغة على ما جري عليه العرف سواء كان المنهج وصفياً أو تاريخياً ، تندرج في أربعة مستويات – وإن كانت الحدود بينها غير واضحة تماماً على نحو دقيق – وهذه المستويات تشكل بناء اللغة العام ، وهي [1] :

1- مستوي الأصوات Phonology ، ويدرس هذا المستوي أصوات اللغة من ناحية طبيعتها الصوتية مادة خامًا تدخل في تشكيل أبنية لفظية ، ويدرس وظيفة بعض الأصوات في الأبنية والتراكيب – والأخير مهم في الدلالة – ويدخل هذا تحت ما يعرف بعلم وظائف الأصوات Phonology ، وهو دراسة وظيفة الصوت اللغوي في الكلام عن طريق زيادة في الكلمة مثل العناصر الصرفية ، ومن ناحية تقسيم الكلمة إلى مقاطع صوتية ، وصفات كل مقطع أو عن طريق أدائه صوتياً ، وما ينتج عن ذلك من نبر وتنغيم ووقفات وطبقة الصوت ، وكل العناصر الصوتية التي تشارك في الدلالة وتؤثر في المتلقي .

2- مستوي الصرف Morphology وهو المستوي الذي يدرس الصيغ اللغوية ، وأثر هذه الصيغ في الدلالة ، ويدرس الأثر الذي تحدثه زيادة بعض الوحدات الصرفية في أصل بنية الكلمة مثل اللواحق التصريفية inflectional endings كعلامات الجمع ("ون " أو

---

(1) ماريو باي : أسس علم اللغة . عالم الكتب 1419 هـ 1998م ص 43 .

"ين " للمذكر السالم ، و "ات" للمؤنث السالم) . وياء النسب (في مصري ، سوداني) . والسوابق Prefixes كحروف المضارعة وهمزة التعدية ، وميم اسم المفعول في "محمود" والتغيرات الداخلية ، كتضعيف وسط الكلمة للتعدية (في كسّر) وزيادة الألف للدلالة على المشاركة والمقاومة (في قاتل) وللتعدية (في مثل كاثر) وللدلالة على اسم الفاعل (في صيغة فاعل ، مثل قائم) . وهذه الإضافات والتغييرات تشارك في الدلالة ، ويتأثر المعنى باختلافها ومقدار الزيادة في الكلمة .

3- مستوي النحو Syntax ، الذي يختص بتنظيم الكلمات في جمل أو مجموعات كلامية، ويبين علم النحو وظائف الكلمات في الجمل ، والأثر الدلالي لاختلاف موقع الكلمة في تركيبين ، وكذلك اختلاف الكلمة في تركيبين ، مثل : "ضرب محمد علياً" . و"ضرب علي محمداً " . ومثل : "نجح محمدٌ" . و "رسب محمدٌ " فاختلاف ترتيب الكلمة واختلاف الكلمتين أثرا في دلالة الجملة ، كما يقوم النحو بتعيين فاعل الجملة بوضع مفرداتها مرتبة إن التبس المعني في مثل : "ضرب موسى عيسى . لا توجد قرينة معنوية أو لفظية تعين الفاعل ، فاستوجب هذا وضع المفردات في ترتيبها المعهود من قواعد النحو : الفعل ثم الفاعل ثم المفعول ، لئلا يلتبس المعني .

4- مستوي المفردات Vocabulary الذي يختص بدراسة الكلمات المنفردة ، ومعرفة أصولها ، وتطورها التاريخي ، ومعناها الحاضر وكيفية استعمالها ، ويدخل تحت هذا المستوي دراسة المعني المعجمي ، أو القاموسي ، ويدخل فيه دراسة دلالة الكلمة وتاريخ نشأتها وتطورها والحقل اللغوي الذي تنتمي إليه ، ويدرس هذا المستوي أيضاً دلالة التراكيب الاصطلاحية أو القوالب اللفظية التي تؤدي دلالة خاصة [1].

وقد رأي العلماء أنه لا توجد حدود فاصلة بين هذه المستويات ، فلا يمكن استبعاد مستوي منها، فأصوات اللغة تتأثر بالصيغ ، والصيغ هي الأخري تتأثر بالأصوات ، فالتغيرات الصرفية تقوم على عناصر صوتية ، وليست الوحدات الصرفية إلا أصواتاً ،

---

(1) ارجع إلي : الدكتور محمود عكاشة ، الدلالة اللفظية ، مكتبة الأنجلو ، 2003 م ، ص8 وما بعدها .

والصوت والصيغة كلاهما يتأثر غالباً بالمعني ، ويوجد كذلك تبادل مطرد بين الصرف والنحو ، فالزيادة في بنية الفعل تحدث أثراً نحوياً ، وتراعي أبنية مفردات الجملة في الترتيب ، والأثر الذي يترتب عليها نحوياً ، فنوع الصيغة يحدد عملها النحوي مثل إضافة الفاعل إلى مصدره ، وعمل الصفة المشبهة وغير ذلك من وجوه الإعراب التي تتأثر بنوع الصيغة ، وموقعها في التركيب .

وهذا التداخل بين هذه الفروع (الأصوات ، الصرف ، النحو) كان سبباً في اختلاف العلماء في حدود كل علم منها ، فقد صنف بعض العلماء الصرف والنحو تحت اسم واحد هو التركيب القواعدي Grammatical Structure لوجود صلة وثيقة بين هذين المستويين ، فصيغة الفعل لا تقع مفعولاً إلا مصدراً مؤولاً ، وكذلك لا يأتي الفاعل فعلاً إلا حكاية أو نقلاً إلى الاسمية مثل: "ضرب يزيدُ علياً" . فيزيد اسم محكي ، ومثلها : "توكل" و"يشكر" من الأسماء ، ولا يلحق الحرف بالفعل كما هو في خطاب العامة : بيقول ، بيشرب .

وتوجد كذلك علاقة بين النحو والدلالة ، فعلم النحو يبين دلالة المفردات في التراكيب ووظيفتها فيه ، وقد قضي كثير من العلماء بفساد التراكيب النحوية التي لا تؤدي دلالة صحيحة دلالياً .

فبحث المعني يتغلغل في كل فروع علم اللغة ، ولهذا نجد في تصانيف بعض العلماء علوم اللغة فروعًا ترتبط بعلم الدلالة مثل: "علم الصرف القاموسي" Lexical Morphology ، وهو الذي يبحث صيغ الكلمات ومعانيها ، وطرق اشتقاقها ، وتوظيفها في التراكيب ، وتبحث الدلالة فيه معاني صيغ الكلمات ووظيفة السوابق واللواحق والدواخل وأثرها في دلالة الكلمة ، ويقوم "علم الدلالة القاموسي" Lexical Semantics بالتمييز بين معني التركيب ، ومعني أجزاء هذا التركيب ، والكلمة في التركيب لها دلالة سياقية ونحوية ، ولها كذلك معني معجمي مستقل عن التركيب يرتبط بأصل المعنى الذي وضع له اللفظ ، والمعاني الأخرى المجازية التي دخلت عليه .

ولعلم النحو جانبان ، جانب صرفي وجانب دلالي ، الجانب الصرفي يبحث في صيغة

الكلمة ، والدلالي يبحث عن معني صيغة الكلمة ، فالكلمة توظف في التركيب باعتبار صيغتها ودلالتها ويأتي ترتيبها في الجملة لمعنى خاص يراد بها في موضعها ، ويختلف باختلاف وظيفتها التركيبية ، ويدخل هذا النوع عند بعض العلماء تحت "علم دلالة الجملة" أو "علم الدلالة التركيبي" أو " علم الدلالة النحوي" ووحدته الجملة ، وتشكل فيه وحدة مستقلة ، ويهتم ببيان معنى الجملة أو العبارة .

وهذه التداخلات بين هذه الفروع في الدرس اللغوي تؤكد أن مستويات اللغة تخضع لكيان واحد لا يمكن الفصل بين محتوياته ، وأن هذه التقسيمات من صنع العلماء ، وليست من صنع اللغة التي تعد بناء واحداً متماسكاً .

ونتناول هذه المستويات مبسوطة ، ونبين أثر كل مستوي في الدلالة ، وقد اخترت أشهر مستويات التحليل وأيسرها وأكثرها نفعاً في الدرس اللغوي ، وهي الدلالة الصوتية ، والصرفية ، والنحوية ، والمعجمية ، وقد ضمنت داخل كل مستوى منها ما يتعلق به من مستويات أخرى تبناها بعض العلماء وتدور في فلك هذا المستوى الذي اخترناه .